Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوّل صورة تطالعنا هي أن الشيخ إنسانٌ يعيش بمفرده : لا زوجة له ولا ولد ، يأوي إلى كوخه التَّعِس وحيداً في كل أمسية محاولاً معايشة وحدته باستعادة أحلام من زمن شبابه غاب عنها الإنسان وما بقي على مسرحها إلاَّ أسودٌ بريَّة ترتع على شاطىء رملي (ص ١٩)(*) . أما أفكاره حول الحاضر فإنها تدور غالباً حول مباريات « البيسبول » يرافق أبطالها مهتماً بواحد فقط : دي ماجيو ، لأن والده كان صياداً مثل الشيخ ؛ ولأن دي ماجيو ، مثل الشيخ أيضاً ، يعاند ألم الجسد محاولاً التفوق عليه في رحلة الحياةوالتحدي (٤٣ ـ ٤٧ ـ ٥٢ ـ ٥٧ ـ ٨٣ ـ ٨٩) . واحد فقط يرافق الشيخ على اليابسة : إنَّه الصبي الذي ينسلّ من كوخ والديه ليكون مع الشيخ في الصباح والمساء ، محاولاً أن يؤنس وحدته من جهة ، وأن يتعلم منه فنون الصيد من جهة أخرى (٦ ـ ١١ ـ ١٨) . وكأن الصبي ، هنا ، ما عاد غريباً عن ذات الشيخ ؛ وكأنه امتدادُ نفسه في المستقبل وخلاصة تجاربه في الزمن ؛ حتى ليكاد المرء يعتقد بأنّ الصبي ما هو إلاَّ الجزء المقبل من الشيخ في الزمن الآتي ؛ الجزء الذي ربما كان همنغواي نفسه يتوقعه لجيل السبعينات !

إنَّ نظرةً تحاول تحليل واقع هذا الشيخ يمكن أن تلاحظ أن الماضي الذي يمثله البشر ـ الآخرون قد انمحى من ذاكرة الشيخ . لم يحمل الرجل معه من ماضيه إنساناً آخر سوى نفسه ؛ لم يتذكر ، وهو في شيخوخته ووحدته ، حبيبةً ما أو أمّاً أو رفيقاً أو حتى عدواً . نسي الإنسان كله ، ولم يَبْقَ في الذاكرة إلاَّ وحوشٌ برية ترتع بحرية وصفاء عند شاطىء البحر . وكأن الصورة تقفز بالذاكرة إلى الأوروبي الأول الذي نزل الشاطىء الأميركي ، فما اعترف بإنسان سوى نفسه على تلك الأرض ، ومن فرديته هذه انطلق في تجربته مع الحياة في العالم الجديد . أما الحاضر ، فلا يرى فيه الشيخ إلاَّ نفسه ، ونفسه فقط . دي ماجيو هو امتدادٌ آخر للشيخ ؛ هو الشيخ يمارس لعبة « البيسبول » القاسية كما يمارس الصيد القاسي في مجاهل البحر البعيدة . وهو الشيخ في لعبة « البيسبول »

(*) اعتمدت على النسخة : Hemingway, The Old Man and the Sea, Panther Books, 1976, England والأرقام بين مزدوجين إشارة إلى صفحات هذه النسخة .